کائنات

obeikandl.com

الافتتاح

كلمة السيد كمال الدين حسين

رئيس المجلس

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها السادة :

باسم الله أفتتح هـذا المهرجان ، للحفاوة بذكرى الشاعر العربى الكبير حافظ إبراهيم لمناسبة مرور ربع قرن على وفاته .

وإنه لمن حق حافظ إبراهيم ، أن تحتفى الأمة العربيـة بذكراه ، وأن يجتمع للحفاوة بهذه الذكرى ، أدباء من كل قطر من أقطار الأمة العربية فقـد كان حافظ إبراهيم ، شاعرا للأمة العربية كلها ، لا لمصر وحدها وكان فى شعره رائدا من رواد هذه النهضة التى تثب بها الأمة العربيـة فى التاريخ ، وثبات ضخمة ، لتحقق وجودها وتثبت مكانتها بين أمم الحضارة .

ومن حق النابغين على قومهم ، أن يحتفوا بهم أحياء و بعد رحيلهم عن الحياة ، فإن ذلك خليق بأن يبعث فى نفوس الأحياء منهم رضا واطمئنانا وراحة نفس ، تحفزهم إلى المضى فيما بدءوا ، وأن يبعث فى نفوس من بعدهم ألوانا أخرى من الرضا والاطمئنان وراحة النفس ، تحملهم على الدأب وتحفزهم إلى القدوة .

على أن الحفاوة بالنابغين فى ذاتها والاحتفال بذكراهم ، حق وواجب لأنها مظهر وفاء ، وأمارة وعى ، و برهان تجاوب بين النابغة وقومه فهم حين يحتفون به إنما يقدمون البرهان على أنه منهم ، ولهم ، وأمجاده شركة بينه و بينهم .

فإذا كانت الأمة العربية الناهضة قد اجتمعت اليوم لذكرى حافظ فذلك برهان وعيها للمعانى القومية العظيمة التى عاش حافظ يعزف على قيثارتها ، منذ وعى إلى أن غيبه القبر .

وإن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب فى مصر ، إذ يدعوكم إلى هذا المهرجان لذكرى حافظ ، كما دعا منذ أشهر لمهرجان مماثل لذكرى الفنان ناجى ، ليستن سنة جديدة فى بلادنا ، يقدم بها البرهان على أن الأمة العربية تعرف أقدار النابغين من بنيها ، لأنهم منها ، ولها ، وأمجادهم شركة بينهم و بين الأمة التى أنجبتهم واعترفت بحقهم .

السيد / كمال الدين حسين يستمع إلى بعض الكلمات

أيها السادة :

وإنه لتوافق عجيب ، أن يكون اجتماعنا للحفاوة بذكرى حافظ ، فى هذه الأيام المجيدة من تاريخ الأمة العربية ، فقـــد عاش حافظ حياته يتغنى بأمجاد الأمة العربية ، ويدعو إلى الحرص عليها والاستمساك بها ، والعمل لهـا ، ومات ولم ترل على شفتيه كلمـات يهتف بها ، ليدعو أمته إلى أمجادها ، فكأنما كان مع هـذه الأيام العظيمة على ميعاد ، فكانت وفاته فى الواحد والعشرين من شهر يوليه ، منذ ربع قرن مضى ، لتكون ذكراه المتجددة فى مثل هـذا التاريخ من كل عام ، جزءا من ذكريات الأمجاد العظيمة التى نحتفل بها فى مثل هذه الأيام من كل عام .

وإنه لتوافق عجيب آخر ، أن تكون المـــلامح الواضحة فى حياة حافظ إبراهيم ، متلائمة كل التلاؤم مع الملامح الواضحة فى نهضتنا القومية الحاضرة فقد جمع حافظ إبراهيم فى طرفى حياته بين صفتين بارزتين ، فكان ضابطا شاعرا ، رجل حرب ورائد نهضة ، حامل سيف وصاحب مثل ، ونهضتنا الحاضرة تجمع بين الصفتين ، فهى نهضة جيش ونهضة أمة ، دعوة إلى القوة ودعوة إلى المثل العليا ، لتحقيق آمال شعب عظيم ، يؤمن بالحرية وبالسلام وبكرامة الإنسان .

صفتان بارزتان فى حياة حافظ إبراهيم ، لم تجتمعا من قبل فى تاريخنا المعاصر إلا لرجل واحد سبقه إلى الآخرة بسنين قليلة ، هو الضابط الشاعر محمود سامى البارودى ، وكان البارودى مثـــل حافظ إبراهيم ، معبرا عن ملامح نهضة مثـــل نهضتنا ، وإن لم يكتب لهـا التوفيق ، فى النهضة العربية .

أيها السادة

إنى لأتطلع إلى هذه الوجوه الكريمة ، لطائفة كريمة من أهـل الفكر والأدب ، قد اجتمعوا من شتى أقطار الأمة العربية ، للاحتفال بذكرى الشاعر العربى حافظ إبراهيم ، فأستشعر يقينا فوق يقينى ، بأن القومية العربيـة التى تغنى بها حافظ ، وشوقى ، والبارودى ، وأولئك الرواد الأول من شعراء الشام ، والعراق ، والجزيرة ، والسودان ، والمغرب العربى ، لم تزل حقيقتها تستعلن كل يوم ببرهان جديد ، وأنتم فى اجتماعكم هذا برهان من أعظم براهينها .

طبتم مقاما ، وطبتم مسعى ، وطاب شاعرنا أثرا وذكرى ، وشكر الله لكم هذا الوفاء

والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة المجلس

للأستاذ يوسف السباعي

سيداتى سادتى :

نحن هنا لنحيي ذكرى حافظ ، ومجلس الفنون والآداب الذى أنشىء من أجل الارتفاع بمستوى الإنتاج الفكرى فى مجالات الفنون والآداب والبحث عن الوسائل التى تؤدى إلى تنشئة أجيال من أهل الآداب والفنون يستشعرون الحاجة إلى إبراز الطابع القومى فى الإنتاج الفكرى بشتى صنوفه ويعملون على التقارب فى الثقافة والذوق الفنى بين المواطنين مما يتيح للأمة أن تسير موحدة فى طريق التقدم محتفظة بشخصيتها وطابعها الحضارى المميز. هذا المجلس عندما يدعو لتكريم فنان راحل، وإحياء ذكراه لا يقصد من هذه الدعوة مجرد حفل تأبين ، تلقى فيه كلمات المديح والرثاء .. وإنما يقصد بدعوته عمل دراسة كاملة لحياة الفنان ، وإلقاء الأضواء الكاشفة على إنتاجه من أقدر الناس على تقديم البحوث الوافية والدراسات المستفيضة لهذا الإنتاج .

السيد رئيس المجلس والأستاذ يوسف السباعى فى الطريق إلى حفل العشاء بقصر المنتزه

ونحن بإحياء ذكرى الفنان . . وبتقديم دراسة لإنتاجه ، إنما نذكر هذا الجيل ، بأننا شعب عربى ذو أصالة وعراقة ، وأن سلسلة الفنون والآداب التى تسهم فى تكوين حضارة العالم لم تنقطع قط فى جيل من الأجيال بل ظلت حلقاتها متصلة مستمرة تحمل رسالتها فى ثقافة العالم وحضارته ، فى كل عصر ، وفى كل جيل .

ونحن عندما نحتفل بذكرى أدبائنا وفنانينا ، نحتفل بهم كشعب عربى فإن أعمق جذور القومية العربية هى الأدب العربى . . فأدباؤنا وفنانونا كانوا وما زالوا وسيظلون دائما أدباء وفنانين عربا .

فأبو العلاء ، والمتنبى ، وابن الرومى رغم اختلاف أصولهم ، كانوا شعراء عربا ، تميزهم العربية قبل كل شىء ، ولم تكن لهم صفة محلية بقدر ما كانت لهم صفة عربية ، واعتزازى بابن خلدون ، وابن سينا لايقل عن اعتزازأى عربى بهما ، وشوقى ، وحافظ . . وجبران ، ونعيمة ، لا يستطيع أن يفخر بهم وطن عربى دون وطن عربى آخر ، ولايقل مركزهم فى العراق عنه فى مصر عنه فى سوريا .

ونجيب الريحانى ، وأم كلثوم ، وعبد الوهاب ، فى قلب كل عربى وملء سمعه . . فالأدب والفن هما أقوى الصلات وأعرقها بين شعوب العرب ، ولن تستطيع قوة أيا كانت أن توقف مشاعر الشعوب العربية

المشتركة نحو فنانيها وأدبائها ، لأن أماكنهم القلوب . . ومنازلهم الأفئدة .

واجتماعنا هنا لإحياء ذكرى حافظ ، واشتراك إخواننا العرب فى احيائها خير دليل على قومية الأدب العربى ، وعلى أن أدباءنا وفنانينا أدباء وفنانون عرب .

ونحن إذ نقدم حافظا ، وإنتاج حافظ ، إنما نقدم حلقة من سلسلة الثقافة العربية المتدفقة فى كل عصر ، وفى كل جيل ، والتى تكون جزءا ضخما من حضارة العالم وثقافته .

وإنى أترك الكلمة لأستاذى السيد مقرر لجنة الشعر ليبدأ بها تقـــديم الشاعر وإنتاجه والسلام عليكم .

كلمة لجنة الشعر
للأستاذ عباس العقاد

تحتفلون — أمة العرب — بشاعر المحافل .

ومن يكون شاعر المحافل غير حافظ ابراهيم ؟ لو لم يكن مسمى باسمه فى هذه الذكرى لدل عليه هذا اللقب أكمل دلالة . وإنه ليدل عليه ولو شملنا بالقول تاريخ الآداب العربية من أوائله إلى عصره الحاضر . فلا نعرف فى تاريخ هذه الآداب شاعرا أحيا المحافل بقصيدة ينشدها كما كان يحييها حافظ فى أيامه ، ولا نعرف هاتفا بالقول المنظوم نافس الخطباء المفوهين فى ميادينهم كما نافسهم هذا الصناجة البليغ بصوته الأجش ونغمته المعبرة وإلقائه المطبوع وإيمائه السهل ، على بساطة واعتدال وبعد عن التكلف والاسترسال .

ولقد كنا فى أوج شهرة حافظ ، نغشى الحفل بعد الحفل كلما قيل إنه من أصحاب الكلمة فيه ، فإذا سمعناه فالحفل مستحق لعناء الزحام عليه والسعى إليه ، ولكنه يتخلف عنه لطارئ من الطوارئ فهو إذن حفل منثور ، أو حفل يستوى أن نقرأه فى الصحف وأن نشهده شهود العيان .

ولقد نبغ حافظ فى عصر المحافل والاجتماعات وكان نبوغه فى ذلك العصر — ولا شك — من أسباب هذه القدرة النادرة على إنشاء الشعر وتمثيل إلقائه لمخاطبة الجموع فى الأندية العامة . ولكنه سبب واحد وليس بالسبب الوحيد ، إذ كان فى عصر حافظ شعراء يضارعونه ويسبقونه فى بعض أشواطه ، ولكنهم كانوا يُقرأون ولا يُسمعون ، أو كانوا يُسمعون من أفواه الرواة وهم مشاهدون أو غائبون . . . . فهى إذن سجية حافظية لها مصدرها من طبيعة الرجل إلى جانب مصدرها من طبيعة عصره ، وربما بدت فيه هذه السجية واضحة محسوسة لمن عرفوه فى غير المحافل والاجتماعات ، فما لحناه قط منفردا إلا فاجأناه على حال من الكآبة والوجوم يستغربها كل من سمع عنه وسمع بما اشتهر من فكاهاته ونكاته ومساجلاته لأصحابه فى عمله . وكذلك كان يبدو فى حديثه مع صديق أو صديقين حيث لا كلفة ولا حرج من الصمت والسكون . فأما إذا دار المجلس على جمع يحضره القريب والغريب فحافظ ثمة هو حافظ المشهور بالنكتة الحاضرة والرواية الواسعة والحديث الشائق والفكاهة المرتجلة ، وحافظ هنا هو حافظ على أحسن ما يكون وما نحسبه يريد شيئا من ذلك فى حالتيه ، ولكنه مفطور على طبيعتة كطبيعة الخطيب أو المنشد ، يتنبه بكل ما احتوته بديهته كلما نبهه مجال الخطابة والإنشاد .

شاعر المحافل هذا قد ظلمته المحافل حقبة من الدهر فى حياته و بعد مماته وحق له زمنا أن يشكو البؤس فى ثراه كما شكاه غاديا رائحا فى دنياه، ولكن قسمته بعد الموت لم تلبث أن طابقت قسمته فى إبان الحياة : لقد كان مجده فى حياته أقوى من بؤسه ، وكانت قدرته على انتزاع الإنصاف فى زمنه أكبر من قدرة الزمن على اختلاسه . وكذلك كانت ذكراه بعد حين ، وإنكم على ذلك من الشاهدين ، بل إنكم على ذلك لمن العامدين .

*
* *

لقد كان لشاعر المحافل إذن حظ من الانصاف مدخر لحفلكم الرفيع وكان له طالع من اليمن مرتهن بضمائركم الشاعرة وقلوبكم الوفية ، وزاد من يمن الطالع أن تتفق ذكراه فى موعد كان يهفو اليه و يتمناه، بل كان و يختاره لو كان له فيه اختيار ، أو كأنه نظر اليه بلحظ الغيب قبل أن ينكشف عنه الستار : موعد تطلع اليه قبل نهاية القرن التاسع عشر فحققه الزمن بعد منتصف القرن العشرين .

كان حافظ رائدا فى الحركة الوطنية كما كان رائدا فى النهضة الأدبية وكان على سنة الرواد يسبق الحوادث فتؤخره الحوادث و يطول بها العهد جينا قبل أن تثوب الى التكفير عن ذلك التأخير .

*
* *

فى هذا الشهر من سنة ١٩٥٢ تمت وثبة الجيش التى حققت للأمة عزيمة الخلاص من نير الاحتلال ونير الملكية الفاسدة ، فلو كان لحافظ أن يختار موعدا يقترن بذكراه لما استطاع أن يختار لها موعدا خيرا من هذا الموعد . لأنه حقق له حلما فاته أن يحققه فى مطلع شبابه ، فأعقبه فوات الأمل حسرة من حسرات الخيبة لزمته بقية أيامه ، وغشيته بغاشية من البؤس لم تفارقه بنكسة من نكساتها الى نهاية حياته ، ومنها — على ما نعتقد — سرى إلى قلبه ما سرى من خذلان أليم ، لم يكن له عذر منه إلا أنه ذنب زمانه وذنب بنيه .

كانت الحركة التى عرفت بحركة الذخيرة أول انتفاض من الجيش بعد عهد الاحتلال ، وكانت فى حقيقتها بوادر الثورة بين أبناء الجيل الذى نشأ بعد جيل الثورة العرابية ، إذ كانت ثورة الشبان من الضباط فى سنة تسع وتسعين « ١٨٩٩ »

كانوا فى وثبتهم رقادا فأخفقوا إخفاق الرواد ، وقال حافظ فى وصفها من كتابه ليالى سطيح بعد الإشارة إلى هياج البرلمان الانجليزى من جرائها : « قرر تخفيض الجيش وحكم على كل مصرى بسوء العيش وهأنذا وليس وراء ما بى من سوء الحال غاية . . . »

وما راع حافظا من ذلك النكال أن يجيئهم على يد الاحتلال ، فهو كما قال :

هى سنة المحتل فى كل الأمور وما تبدى

وإنما راعه ، وفت فى عضده ، أن يجيئهم النكال من أنفسهم ، وأن يضربهم الاحتلال بأيديهم ، وأن تأخذهم وشاية الزملاء ، قبل أن تأخذهم نكاية الاعداء ... ثم ذهبت الصدمة فلحقت بها صدمة بل صدمات ، ومرت العاصفة فهبت بعدها عاصفة بل عواصف . وتكررت النوبة فى إثر النوبة ، وتجددت النكبة من وراء النكبة ، وليس فى جوانب الأمة من زاوية حية تتجاوب فيها هذه الأصداء جميعا كما تتجاوب فى نفس رجل يحمل أمانة الأدب وأمانة الجندية ، فان نفسا كهذه لهى أشبه شىء بالمجس فى المرصد الفلكى ، وهى فى طويتها لسان ناطق وحارس صادق ، تضطرب بكل ما فى الأرض والسماء من خلجات الأعماق ونفثات الأجواء .

وفى هذه المحنة سجل الشاعر ما سجل من وقائع زمنه ودخائل وطنه بفرى قلمه بكلمات وددنا لو خلا منها الديوان ، ولم يكن لها بين سطور الصفحات ركن من الأركان .

إلا أننا نود من الأيام ما لا تؤده ، ونتمنى على ذمة التاريخ ما تأباه . فمن تلك الصفحات نعلم ما لا بد لنا من علمه من دروس الحوادث وعظات الأقدار .

ودرس من تلك الدروس أن نعلم الفارق بين الرائد الأول و بين العامل الناجح المنجز الذى تحققت على يده آمال لا تحقق على أيدى الرواد .

ودرس من تلك الدروس أن تطمئن على الأمل بين زعازع الشك والحيرة. فنعلم أن الأمل نبتة صالحة تغالب زمهرير اليأس ولفحات الألم وتعيش ثم تنضج ثم تثمر ، ما دامت نامية على سنة الحياة .

ودرس من تلك الدروس أن نعطى الشوق الى الغد المأمول حقه من ملل الانتظار وطول الاصطبار ، فان انتظار الدقائق الستين يذهب بالصبر فى كثير من الأحايين .

فكيف بانتظار الستين من طوال السنين .

ودرس من تلك الدروس أن نعلم ما تتطلبه تربية الأمم فى نهضاتها وتربية النوابغ فى أيام إقبالها وإدبارها وأيام تأثيرها فيهم وتأثيرهم فيها فلن تكون التربية بين الطفولة الباكرة والفتوة القوية إلا تجربة ترضى وتسوء وتيسر وتحذر ، ويحسب فيها حساب العثرات وحساب الوثبات . ومن هذه الدروس تعلم حافظ أن الشدائد ترجى كما تخاف ، وأن المحن بوتقة للامم تصفيها حين تصهرها ، وأن الرخاء بلاء للامم يؤذيها حين يخدرها ، وبهذه العبرة خرج من محنة دنشواى حين قال :

قتيل الشمس أورثنا حياة وأيقظ هاجع القوم الهجود

وبهذه العبرة نظر إلى العلمين المصرى والبريطانى على ربوع السودان فأحزنه أن يقول :

أرى مصر والسودان والهند واحدا ... بها اللورد والفيكونت يستبقان

وانبعثت من أعماقه صيحة الثورة المرجرة فقال :

إذا غضت الأفواه من كل مزبد ... وخرت بروج الرجم للحدثان

وعاد زمان السمهرى وربه ... وحكم فى الهيجاء كل يمان

هناك اذكر يوم الجلاء ونبها ... نيا ما عليهم يندب الهرمان

وهكذا تربى حافظ مع أمته النامية تربية الأحياء ، وثبت من أمسها وغدها فى ديوانه ما هو مستحق للبقاء : إما لأنه باعث لعبرة أو لأنه باعث لرجاء .

وما كانت حياة هذا الشاعر الحى إلا معركة فى ميدان ، وما كانت المعارك قط سيفا يضرب من ناحية واحدة أو درعا تتقى الضرب من سيف واحد ، ولكنها صراع بين قوتين وسباق بين وجهتين ، وسعى يحسب حساب المشقة فى الطريق كما يحسب حساب الطمأنينة إلى الغاية ، وآية من آيات الفلاح فيها أن يكون لحافظ مجد يغلب على بؤسه وأمل يصول على يأسه ، وهذه إحدى آياته بعد مماته : أمل فاته فى صباه فأدركه

فى يوم ذكراه ، وشرق تلاقت فيه الهند ومصر والسودان ولكن اللورد والفيكونت فى هذا الشرق لا يستبقان .

*
* *

ليس ببدع أن نهنىء الشاعر الراحل بمحفل المحافل . فإنما يعيش الخالد لغده قبل أن يعيش ليومه ، وإنما تسبق التهنئة اليه حين تبلغ إلى قومه أو حين تبلغه من قومه ، ونحسبنا نهنئه مرة ونهنىء قومه مرات : فإن قومه من أبناء العربية بخير مادام فيهم علم مذكور ونابغ مقدور ، وما دامت للسلف الأولين حياة من ذكريات الخلف الخالدين . وإنكم على ذلك من الشاهدين ، بل إنكم على ذلك لمن العاملين .

كلمة الأردن

للسيد محمد سالم الجنيدي

أيها الحفل الكريم

لعل أول سؤال يتبادر إلى الذهن عن هذا المهرجان ، وما يرمز اليه هو : لم أختُص حافظ بهذه النعمة دون سواه من الشعراء المعاصرين . . وبينهم من لم يزحمه حافظ ولا داناه فى ثقافة أو فن .

أهو التعويض عن إهمال انتابه حيا، أم هنا لك غاية يرمى اليها الدعاة إلى هذا المهرجان ، أم هو رمز إلى قدسية تجل عن التعريف ؟ .

إن الحيرة تنتاب من يعالج تمجيد الفرد بالحكم المجرد النزيه ، ولكن هذه الحيرة، إنما تتلاشى عندما يعالج العلة والمعلول فى مثل هذه الحال .

لقد خضعت البلاد العربية بعد انهيار الخلافة العباسية لطوائف المتغلبين ، منهم العربى ومنهم الغريب ، غريب الأهل واللسان . وكان من حسن حظ مصر ، أن يتخذها الخليفة الفاطمى عاصمة ، وأن ينشئ فيها أول مركز ثقافى عربى ، وإن لم تكن العروبة غاية فى نفس المنشئ وإن كانت الغاية دعوة إلى المذهب الاسماعيلى ، غير أن اللسان العربى المبين كان الوسيلة ، وقد استحالت هـذه الوسيلة إلى غاية تحققت بهـا الثقافة العربية .

والمركز الثقافى ، هو الأزهر الشريف ، فبالأزهر الذى كان مراد المسلمين من كل حدب وصوب حُصِّن التراث العربى ، وانطلق الفكر العربى ، وازدهرت فنون الأدب العربى ، ومن هذا الأزهر — أقدم جامعات العالم — كان الإشعاع إلى أقطار الشرق كافة .

وتفاعل الشعور العربى فى مصر بغضارة النيل ونضارته ، فاستنبت عديدا من الشعراء هاموا فى كل واد من وديان الغزل ، والنسيب والمديح ، والهجاء ، إلى غير ذلك من ضروب الشعر وفنونه المألوفة ودامت الحال قرونا ، والقصور الذاتى فى الشعراء يغدو بهم ويروح فى إطار لايتعداه من هذه الضروب . على أن بينهم من لم يقف به القصور الذاتى عن تناول ضروب الحياة ، وصفا وتعليلا ، وبينهم من صور وجوهها على ما يشتهى فكان شعراء وصفوا ما أحسوا من جمال ، وما فتنهم من حسن

وكان شعراء اتسموا بلطف النادرة ، وبراعة النكتة ، وكان من هؤلاء وأولئك عديد كبير بينهم المبدع المحلق ... شعراء كثر ملأت دواوينهم دور الكتب ، ولكن هذه الضروب من الشعر لم تعبر عن آلام الناس وآمالهم ، ولم تبرز أية رغبة من رغباتهم ... فما الذى كان يعنى العربى المصرى من أماديح تتوج بها مظاهر السطو والطغيان عند كل ذى جاه وسلطان .

إن أولئك الشعراء الذين غصت بأشعارهم الحواضر المصرية حتى فاضت إلى بلاد العرب جمعاء لم يكونوا يعبرون عن مشاعر مصر ولا عن مشاعر العرب ، وظل الشعر فى حدود إطاره حتى تدفقت التيارات الوطنية ، وأخذ الوعى الوطنى يسود جنبات الوادى العزيز فتنبهت فئة قليلة من الشعراء إلى ما يحيق بالمجتمع المصرى من مظالم ، وما يسوده من مغارم ، فأخذت تنبه الغافلين إلى كيد الاستعمار ولؤم المستعمرين . وكان من هذه الفئة القليلة من الشعراء شاعرنا الخالد حافظ إبراهيم ، ذلك الشاعر الذى لم ير الورود وأقدام قومه تدميها الأشواك ، ولم يشم المسك فى مجتمع يغوص الأكثرون من أبنائه فى أوحال الفقر والظلم .

ذلك الشاعر الذى أراد الحياة لكل مصرى كما يريدها لنفسه . ولو أن حافظا أراد الحياة لنفسه من دون قومه ، وأغمض عينيه عن المظالم التى كان يرسف فى قيودها المجتمع المصرى ، وأراق شعره فى أعتاب

المتسلطين إذن لضمن لنفسه بسطة الرزق ومتعة الحياة ، ولكن حافظا كان تلميذ المعرى فى قوله :

فـــلا هطلت علىّ ولا بأرضى سحائب ليس تنتظم البـــلادا

إن تفاعل حافظ مع مجتمعه كون منه شخصية فذة عبرت أصدق تعبير عن مشاعر الكثرة من المصريين وعن رغباتها فى الحياة الحرة الكريمة .

ففى شعره نفحات من أريحية النيل ، وفيه صفاء من سماء النيل ، وفيه نبرات عذاب من تغريد بلابل النيل . كل ذلك تجلى فى قصائد استمدت لغتها من ذلك الينبوع الإلهى الخالد .. من القرآن الكريم .

وكأنى بالشاعر المصرى الفذ حين عبر عن مشاعر المصريين ، وغير المصريين فى أبناء الأمة العربية والأمم الشرقية قد بلغ من صدق العاطفة وسلامة الشعور ، وحساسة الوجدان مبلغا جعل من شعره أغاريد يرتلها المرموضون من جحيم الاستعمار ، المتطلعون إلى الحرية ، التواقون إلى تحقيق العدل الاجتماعى والعزة القومية فى كل صقع من أصقاع العروبة .

أيها الحفل الكريم

يشرفنى أن أقول كلمتى هذه ، باسم الأردن ، فى ذكرى الشاعر العربى الخالد ، الذى عرفته كما عرفه أقرانى من أبناء الأردن منذ نعومة أظفارنا إذ كان معلمونا — وهم الفئة الواعية حينئذ — يحفظوننا شعره وشعر

الرصافى ، والزركلى ، والقروى وأقرانهم ممن حلقوا فى الغزل القومى ونبهوا الغافلين . . ليثيروا فى مشاعرنا حب الوطن ، وحب الحرية وحب العدل .

ولما لحق حافظ بربه منذ ربع قرن ، كان لنعيه رنة أسى فى الوسط الأردنى ، ولقد رثاه الشاعر الأردنى (أبو الوليد) وهو الأستاذ سعيد ذره الوكيل المساعد لوزارة التربية والتعليم الأردنية حاليا بموشح جاء فيه :

النيـــل غيض فى الأسى عبراته ... وجنان جلق صوحت لمماته
والرافـــدان تلاطمت صخابة ... حزنا مياههما على نفحاته
والمشرقان تجلببا ثوب الأسى ... والمغربان تزلزلا بنعاته
ومدامع الجوزاء تبكى حافظـــا ... والأرض تندب فيه نبل صفاته

* * *

جل المصاب على الصحاب ... فاذرف دموعك ياسحاب
فالجـــود بالدمع الطهور ... مـــبرة فابـــك معى

وكان من الطريف فى هذه المرثاة أنه تخيل حافظا فى الجنة ، وحوله زمرة من الشعراء الخالدين يبايعونه ، فهو يقول . :

الشاعر الحـــر المقال إذا انبرى ... للشعر قـــدم يزدهى بهباته
نظم القـــرائد حرة وضاحة ... فبدت تزيل اللبس عن غاياته
من محكم التنزيل رصع شـــعره ... فتبين الإلهـــام فى آياته
أزرت معانيه (بمعجز أحمـــد) ... وحماســـة الطائى ومنظوماته

هل شممت من خلف النقاب محافل الصيد اللباب
الخالدين يبايعون العبقرى الاوذعى

* * *

فزهير أنكر فضل حولياته وأبو نواس عذب خمرياته
وأبو العلاء جثا لديه ضارعا متحاشيا ذكرى لزومياته
والموسوىّ تأرجت بالمرتضى زفراته يحنو لدى زفراته
واستعبر الضليل فى تشبيبه لمدامع الخنساء فى عبراته

وكانى بالشاعر الأردنى أول من تنبأ لحافظ إبراهيم بهرجانات تقام تخليدا لذكراه حيث يقول :

والناس فى الدنيا تقيم مآتما وتشيّع الأكباد خلف رفاته
تستقبل الضراء يوم رحيله وتودع السراء فى مأساته
فكواكب الأحياء حول ضريحه كمواكب الأحياء فى جناته
ومآتم الدنيا غداة وفاته كمآتم الأخرى لبعث حياته

رحم الله حافظا فقد عاش فى وطنه داعية إصلاح ، شقى بشقائه وسعد بسعادته ، وأمتع الله العروبة بالبررة العاملين المخلصين من أبنائها الداعين إلى الحرية والكرامة .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة تونس

للسيد محمد العروسي

أيها السادة

ليس حافظا شاعر مصر ، إنما هو شاعر العروبة ، فلكل قطر من أقطار العروبة نصيب ، ولكل قلب من قلوب العرب مقام ، مقام لحافظ ابراهيم الذى كان ومايزال خير من سجل وخير من مثل أمة العرب فى سائر أقطارها .

فالمرحلة الزمنية التى عاشها حافظ ابراهيم إنما هى تشابه المراحل العديدة الزمنية التى عاشتها الأقطار العربية فى مختلف الأزمنة والعصور من حيث إنها تتشابه فى أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . فاذا كان حافظ ابراهيم شاعر الشعب متصلا به محتكا به معبرا عن آماله منددا بالظلم والطغيان ، ففى إمكان تلك اللمحات التى تعبر عما يقاسى

الشعب من ظلم وعنت وحرمان — أن تقال فى كل شعب من الشعوب العربية لأنها كلها تتفق فى ذلك المظهر، ولأنها كلها تتشابه فيما كانت عليه من أوضاع وفيما كانت عليه من محن ، وما كانت تقاسيه من آلام، وما كانت تهدف إليه من آمال .

ولهذا . . لهذا السبب النفسى كان لحافظ مقاما قد لا نجده عند غيره من الشعراء فان الحرمان الذى قاساه ، والوضع الذى كان يشكوه كان نقطة تلاق بين جميع الآملين والمكافحين فى سبيل رفع الطغيان والظلم والتعسف . فإذا نحن قطعنا النظر عن المناسبات التى قال فيها حافظ شعره شعر المحافل أو المناسبات الذى يتسم بصبغته الخصوصية والمحلية ونظرنا إلى تلك اللحات التى يقولها معبرا عن شعره ، معبرا عن نفسه وعن شعور شعبه . فإننا نجد إخوانا له فى سائر الأقطار العربية من الشعراء يتلاقون معه تلاقيا عجيبا فى ذلك .

ولو أن المقارنة بعيدة بين حافظ ابراهيم وأبو القاسم الشابى ، ولكن تلاقيا عجيبا نجده بين الشاعرين . فكلاهما كان يلاقى حرمانا ويعانى آلاما، وكلاهما كان يلاقى صدودا من بعض الأوساط المختلفة، ولكنهما كانا أيضا يتلاقيان فى أن كلا منهما كان يعبر عما يحس به الشعب ، وكانا ينددان بالظلم والظالمين ويدعوان إلى الإرتقاء وإلى التحرر .

ويكفى حافظا أن سار ذكره حتى لدى الأوساط من الطلبة حتى بقصيدته التى يتحدث فيها عن اللغة العربية حيث كان معبرا عن المحافظة على ذلك الرباط المقدس الذى يربط بين مختلف الأقطار العربية مهما تناءت الديار وتباعدت الأقطار .

فقد كانت قصيدته تلك محفوظة فى كل قلب ، مذكورة على كل لسان فى العراق والشام ومصر والسودان وليبيا وتونس والجزائر والمغرب . وفى كل قطر عربى كان كل واحد يعتز بهذه اللغة يعتبر حافظا معبرا عن ذلك الاعتزاز يدعوه إلى التحفز وإلى العمل لا للمحافظة على مجرد أنها لغة وإنما للمحافظة على أنها رباط مقدس يجب علينا أن نجعله مثالا للزمن ويحتل مكانته التى كان عليها فى الزمن الماضى ، حيث كان رباطا قويا متينا ، وحيث كانت اللغة العربية هى اللغة العالمية العلمية الأولى .

هذه بعض اعتبارات تجعل كل قطر عربى يهتز لحافظ ويهفو لذكراه ، ويفرح إذ يدعى للمشاركة فيه . فتونس إنما تعتبر "حافظ ابراهيم" من الذين عبروا عن آمالها ومن الذين أوحو إليها بالعمل والكفاح فى سبيل التحرر من أوضاع قديمة لا تصلح للزمن ، ومن أوضاع حديثة أتى بها الاستعمار وكبل بها العرب . وإنها لمصادفة عجيبة أيضا أن يكون

موت حافظ ابراهيم فى هذا الشهر ، شهر يوليو فتتلاقى ذكراه بذكرى الثورة المصرية العظيمة، وإنه لأمر عجيب لاحظته أثناء إلقاء نظرة عابرة فى الديوان هو ذكرى شهر تاموز .

فشهر تاموز له أبيات عند حافظ كأنها كانت تلاقيا نفسيا عجيبا بين آلام الشاعر ، وبين هذا الشهر ، وبين الأعمال التى حققها الشعب المصرى بقيادة رجال الثورة وجمال عبد الناصر .

فيقول حافظ ابراهيم فى شهر تاموز :

تاموز أنت أبو الشهـــور جلالة تاموز أنت منى الأسير العانى
هـــلا جعلت لنا نصيبا علنا نجرى مع الأحياء فى ميدان
أيعود منك الآملون بما رجوا ونعـــود نحن بذلك الحرمان

كان فى ذلك الوقت حرمان ، ولكن تاموز أصبح أمنية محققة، وأصبح ذكرى من أعظم ذكريات البلاد المصرية والأمة العربية. ولهذا يحق لنا جميعا أن نحتفل بحافظ ابراهيم وأن نجعل له مقاما ممتازا ، وقد جازته الأقدار إذ ربطت ذكراه بذكرى الثورة وإنها لنعم الذكرى والسلام .

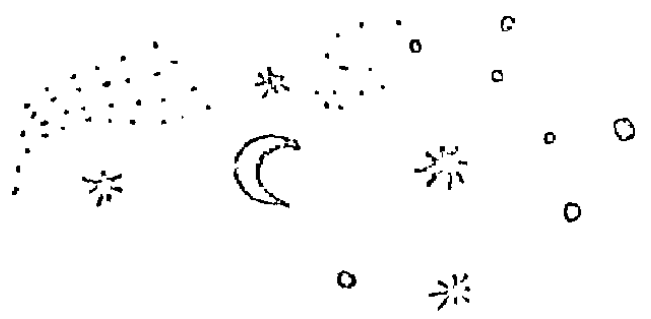

كلمة العراق

للسيد محمد صالح مهدى

حق على العرب أن يحتفلوا بتكريم حافظ إبراهيم شاعرهم على ضفاف النيل. أقول شاعر العرب لأن ذكره وشعره يعطر عندنا الأندية والمجالس، وهو مادة للتربية والتهذيب فى المعاهد والمدارس، تربية للعواطف السامية وتربية للملكات الأصيلة، فقد ألفنا الشاعر منذ الحداثة وتغنينا بشعره وتمتعنا بطيب ذكره، فليس فى العراق من أخذ حظا من التعليم دون أن يدرس حافظا إلى جنب الرصافى والزهاوى والشبيبى.

فشاعرنا الذى نحتفل بتكريم ذكراه يعد فى الطليعة من شعراء العرب الذين بنوا الشعر بناء جديدا، وخرجوا به من القصور والأندية الخاصة وجعلوه مادة للتعبير عن آمال وآلام المجتمع العربى فى موضوعاته ومعانيه كما خرجوا به عما كان مألوفا من الصنعة والتزويق فى تراكيبه ومبانيه.

فما كاد القرن التاسع عشر يحزم أمتعته ، ويطوى ثيابه ، ويتأهب للرحيل ليترك دنيا العرب لخلفه القرن العشرين يتحكم بهذه الدنيا ، أو تتحكم هذه الدنيا به حتى رأينا جنود الخلف تزحف لتمحى آثار السلف ، تطبع هذه الدنيا بطابع جديد يتجاوب مع دنيا الناس ، ويتسق مع ما فى الكون من ألوان وصفات .

كان ذلك يتناول كل شأن من شئون الحياة ، وأظهر هذه الشئون الأدب ، فهو مرآة تنعكس عليه كل جوانب الحياة ، وقد ظهر فى هذه الحقبة شعراء فى دنيا العرب استجابوا لمطالب العصر وتفاعلوا معه واستلهموه ، فصوروا ما كانت الحياة فيه وما كان يجب أن تكون الحياة عليه ، وأظهر هؤلاء الشعراء حافظ وشوقى على ضفاف النيل ، والرصافى والزهاوى على ضفاف دجلة والفرات ، وكان حافظ وشوقى يغنيان فى الكنانة ، كما كان الرصافى والزهاوى يصدحان فى دار السلام ، وكانت النفوس والعقول فى دنيا العرب بين هذا الغناء وذلك الصدح تصحو رويدا رويدا ، وتنفض عنها غبار القرن التاسع عشر ، وتتخلص من الخمول والتواكل والاستسلام ، تتطلع إلى حياة كريمة تليق بها حين تلفت إلى ما كان لها من مكان فى التاريخ يوم أمدت العالم بالفكر والحضارة .

وكان حافظ مجددا فى أكثر ماتناول من موضوعات ومنها موضوع المرأة ، فقد مر على المرأة عهد طويل قبل حافظ لم تكن فيه شيئا ، وقد

حجبت عن نور العلم والمعرفة وأهملها الناس، فإذا ماتلطفوا بها أو ترددوا إليها فإنهم يتحدثون عن خصرها وقدها، وعن عينها وخدها، فهى عندهم متعة وسلوة، وليست عضوا مهما فى هذا المجتمع، وعلى هذا درج الشعراء يتحدثون عن المرأة بهذا اللون من الحديث، وينظرون اليها بهذه النظرة ناسين شأنها الكبير فى الحياة الاجتماعية، وخطرها فى إعداد الرجال وخلق الأمم وبعثها و إحيائها، بل تركوها تتعثر بأذيالها بين الحور والخدور، فإذا ماخرجت لشأن من شئونها جللوا قدها الممشوق بالعباءات، ولفوا وجهها الزاهى بالبراقع والخمر السود ثم رددوا :

قل للمليحة فى الخمار الأسود ماذا فعلت بناسك متعبد

ولكن شاعرنا لم ينظر الى المرأة هذه النظرة، فنظرته الى المرأة جديدة وشعره فيها جديد فإذا ماتعرض لها فى شعره قال :

من لى بتربيـة النساء فإنها فى الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباطيب الأعراق

على أنه يتحفظ ولايريد أن يندفع فى تحرير المرأة والدعوة الى سفورها دون قيد، وإنما يدعو الى التوسط والاعتدال فى ذلك مراعيا مالقومه العرب من التقاليد، وما لدينه القويم من أحكام :

أنا لاأقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلن فى الأسواق

كلا ولا أدعوكمُ أن تسرفوا　　فى الحجب والتضييق والإرهاق

فتوسطوا فى الحالتين وأنصفوا　　فالشر فى التقييد والإطلاق

ويحاول أن يرسم صورة واضحة لما يريد أن تكون عليه المرأة العربية فى تحررها وتعلمها وأداء رسالتها الطبيعية فيقول :

بينا تراها فى الطرو　　س تخط آيات العبر

وتريك حكمة نابهٍ　　عَرك الحوادث واختبر

فإذا بها فى مطبخ　　تطهو الطعام على قَدَرْ

وإذا بها قعدت تخيـ　　ـط وترتضى وخز الإبر

بالعلم حلّت صدرها　　لا باللآلئ والدرر

إذن فقد كان حافظ يتحدث بهذا عن المرأة حين يريد أن يتحدث عنها يتحدث بحديث المصلح المربى لا حديث الصب المدله ، فهل يعنى هذا أن حياته خلت من الهوى ؟ وأن نفسه خلت من الغرام ؟

يبدو لى أن حافظا لم يستطع أن يتخلص من الهوى ، فهناك غرام ملك عليه نفسه ، وأوقعه فى هم دائم ، وسيطر على مشاعره و إحساسه ، فنذر حياته للغناء بمن أحب ، فمن هى الحبيبة ياترى ؟

تلكم هى أم الصناديد كثيرة العشاق التى كابد هواها ، وعانى صبابتها فأستأثرت بحبه، فتغنى بها ، وناغاها بشعره :

كم ذا يكابِد عاشق ويلاقى فى حب مصر كثيرة العشاق
إنى لأحمل فى هواك صبابة يامصر قد خرجت عن الأطواق

وهى التى أرقته فتشكى اليها وتظلم ، وكانت أمله ورجاءه :

لعمرك ما أرقت لغير مصر ومالى دونها أمل يرام
ذكرت جلالها أيام كانت تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال وأيام الزمان لها غلام

هذا كان همه وهنا كان غرامه ، فاضت نفسه بحب مصر ، ففاض ديوانه بقصائده السياسية والوطنية والاجتماعية ، وكل ذلك تعبير عن هذا الحب وتصوير لهذا الهوى ، وقد جدد فى هذا اللون ماشاء أن يجدد ، وجاء بالمعجز فيه ، فأين هو اليوم حافظ ايرى ثمرة هواه وقد عاد لمصر جلالها ورجاءها ، وقد عاد الزمان لها غلاما .

رحم الله حافظا وطيب ذكره ، وجعله فى الخالدين ، فقد خلد وطنه وقومه .

كلمة ليبيا

للسيد احمد راغب الحصائرى

سيدى ، سيداتى ، سادتى :

إنى لأحس بالسعادة تغمرنى وتغرق كيانى عندما أقف اليوم فى هـذه المناسبة الجليلة فأرفع صوتى باسم ليبيا ومن فى ليبيا من إخوة لكم أشقاء لأحييكم تحية إكبار وتقدير، وأحيى بكل إعجاب هذ الجهود العظيمة التى تبذلونها فى سبيل تخليد أدباء العربية وعلمائها وتخليد آثارهم الجليلة الباقية على الزمن .

ويسرنى أعمق السرور أن أحيي فى خشوع و إجلال باسم الشعراء والأدباء فى ليبيا صاحب هذه الذكرى الخالدة امى غنى بأفراح الشرق فى

بهجة ونشوة وحبور، وعبر عن آماله أصدق تعبير فى ثقة وتفاؤل وإيمان وصور مآسيه وأحزانه أروع تصوير فى ألم ومرارة وتأثر :

هتف الرواة الحاضرون بشعره وحدا به البادون فى البيداء

عرب الوفاء وفوا بذمة شاعر بانى الصفوف مؤلف الأجزاء

ولعل من أسعد اللحظات التى مرت بشريط حياتى هذه اللحظة التى أقف فيها الآن بين إخوة أشقاء ممثلا لليبيا العربية فى المهرجان الأدبى التاريخى الذى انتظم نخبة من أدباء العرب ومفكريهم توافدوا إلى هذا الصعيد الطيب مساهمة فى الاحتفال بالعيد الفضى لشاعر النيل وبلبل الشرق الغريد المرحوم حافظ إبراهيم، ذلك العلم الذى هوى قبل خمسة وعشرين عاما فترك فى دنيا الأدب والشعر فراغا ظل ردحا من الزمن دون أن تنجب العربية أحدا يسده، ويكون فيضه الشعرى امتدادا لذلك اللون من القريض الحافظى الداعى إلى وثبة العرب، المعبر بصدق وحرارة عن آلام وآمال مصر العربية وأشقائها شعوب الشرق العربى المجيد، حتى نبغ أخيرا فى غير قطر واحد من أقطار العروبة كثير من الشعراء الذين نسجوا من مشاعرهم القومية وأحاسيسهم الإنسانية روائع القصيد، ووهبوا ثمار قرائحهم المخصبة، ونتاج ملكاتهم المبدعة بتصوير واقعهم العربى فى إطارات رائعة تتسم بطابع التطور والتحرر والتجديد .

ولعلنا لانخطئ الحقيقة إذا قلنا إن حافظا كان من شعراء العرب المعاصرين الذى انطلقت قيثارة شعرهم تصدح بأنغام القومية العربية، وتترجم عما يضطرب فى نفوس العرب من عذاب الأمانى والآمال، وما يحجب سماء حاضرهم فى آفاق حياتهم من ظلمات وآلام مردها الغزاة المحتلون، ولعل تغلغل هذه النزعة وشدة وطأتها هى التى حملته على أن يعتب على المرحوم أمير الشعراء تحليقه فى أجواء غير عربية، ويناشده أن يسخر أجراس نغمه لإيقاظ النائمين من أبناء الشرق، ودعوة شعوبه إلى الوثوب السريع والانتفاضة العاجلة، وبناء النهضة المرجوة :

أمير القوافى قد أتيت مبايعا ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى

فغن ربوع النيل واعطف بنظرة ... على ساكنى النهرين واصدح وأبدع

ولا تنس نجدا، إنها منبت الهوى ... ومرعى ألمها : من سارحات ورتّع

وحىّ ذرا لبنان، واجعل لتونس ... نصيبا من السلوى وقسم ووزع

فإن كنت قوالا كريما مقالُه ... فقل فى سبيل النيل والشرق أودع

ثم لنستمع إليه يدعو شعوب الشرق إلى التنبه إلى دسائس الغرب ومؤامراته، وينادى بتوكيد الإخاء، وتوطيد المحبة بين أقطار أمة الضاد،

حتى تصنع من وحدتها وتضافر جهودها قوة مرهوبة غلابة ، وتعيد عظمتها التاريخية على مسرح الوجود فى أروع صورة ، وأشرق مظهر :

متى أرى الشرق ادناه وأبعده عن مطمع الغرب فيه غير وسنان

تجرى المودة فى أعراقه طلقا كجرية الماء فى أثناء أفنان

إننا لنلمس فى شعر حافظ كلما استعرضنا باقة منه أمثال هذه الدعوات القومية الصادقة ، والنداءات الحارة المشبوبة إلى وجوب تكتل الأمة العربية ، وتصافى قلوب أبنائها ، وتسابق شعوبها فى مضمار البناء ، واهتدائها بأضواء الماضى فى صراعها الجبار من أجل الحياة ومحاربة الاستعمار ، ولا نكاد نقلب صفحة من ديوان حافظ إلا أطلت علينا من خلال الشعر روح الوطنية العربية مستشرفة متطلعة ، وتجلت لنا فيه نزعة الشاعر إلى تقديس العروبة ، والتغريد بأناشيدها فى حماسة وحرارة ، والتسامى عن حدود الإقليمية الضيقة إلى التحليق فى آفاق الشرق الرحيبة . فبينما هو يشدو بعرائس النيل ، إذا به يرتاد منازل الغوطة ، ويتفيأ ظلال الأرز ، وفيما هو يناجى ضفاف الأردن ، إذا به يرتشف رضاب الرافدين ، ويتنسم شميم العرار فى نجد ، ثم يخطو فى جلاله ووقاره متهاديا بين مغانى صنعاء .

هذه المعانى الحية المتصلة بواقع العرب ، وهذه الأحاسيس العميقة التى يجيش بها شعر حافظ وتضطرب بها جوانحه هى التى أضفت

على قصيده طابع القومية العربية ، فامتاز بسمو الغرض ، و بنبالة الهدف وعمق التأثير .

ونحن أحوج ما نكون اليوم إلى هذا الصنف من الشعراء الذين يعبئون قواهم الذهنية لخدمة الوطن العربى الكبير ، و يسخرون إنتاجهم الشعرى لإشعال الحماسة القومية فى نفوس الشباب العربى ، دفعه بقوة فى طريق التحرر و لانطلاق نحو الغد المشرق التى تضىء آفاقه شمس القومية العربية ، ما أحوجنا إلى أمثال هؤلاء الشعراء الذين يصورون لأبناء الشرق اليوم روائع أمجادهم بالأمس ، والرسالة الإنسانية الكبرى التى يجب أن يحملوا مشعلها بإرادة قوية و إيمان عميق ، ليبنوا مستقبلهم العظيم ، ويقربوا إشراق اليوم الموعود .

إننا نريد شعراء كحافظ يمدون نار الثورة المقدسة فى الجزائر بالوقود الملتهب ، وينفخون أبواق النفير بين هذه العشرات من الملايين لخوض المعركة الكبرى الفاصلة معركة التحرير ، تحرير الوطن المقدس من براثن الأفاقين من نذالات الشعوب وحثالات الأمم ، نريد من شعرائنا أن يؤججوا فى صدور هذا المليون مشرد من أبناء الشعب الفلسطينى الطريد روح التضحية والفداء ، و يبعثوا فيهم شعلة الأمل قوية غامرة و يسمعوا كل عربى بل كل إنسان حر آهات الوطن المغصوب ، واستنجاد الشرف

المسلوب، واستصراخ الكرامة الضائعة، وأنين الشهداء وبكاء اليتامى، ونحيب الأرامل والثكالى، حتى يعيش كل عربى واقعه بقلبه وروحه، وكل جوارحه وأحاسيسه ، بل ياليت حافظا امتد به حبل العمر إلى هذا اليوم ليرى الانتصارات الباهرة التى أحرزتها القومية العربية ، فيسجلها فى شعره ، ويشدو بها فى قصيده ، ويجدها فى فم الدنيا وعلى مسمع الزمن ، وتردد ألحانها الشجية قيثارته الساحرة .

ومن أجل هذا فإننا نكبر حافظاً ونمجد عيده الفضى، ونحيى روحه الطيبة فى عليائها بين مواكب الخالدين من أبناء الشرق العربى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كلمة المغرب

للسيد أبو بكر القادري

سيدى الرئيس ، سادتى الأفاضل :

إنه لشرف عظيم أن أقف الآن بينكم فى هذا المهرجان العظيم الذى أقامه ودعا إليه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، كذكرى للشاعر الخالد الذكر حافظ إبراهيم ، أقف بينكم لأحييكم باسم حكومة عربية وشعب عربى ، وملك عربى عظيم .

وإنها لفرصة طيبة يتيحها لنا المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بهذا البلد الشقيق لنتعرف إلى إخواننا العرب من مختلف الجهات ، ولنبرهن لمن يود أن يسمع على أن الأخوة العربية حقيقة موجودة ، وأن الوشائج التى تجمع بيننا ، والتى صهرتها المحن وطهرتها الشدائد وأحكمت رابطتها مقاومة الاستعمار لا تزيد إلا صلابة ومتانة وقوة .

إن الشعب المغربي الذي قاسى من مرارة الاستعمار أهوالا ، والذي حورب في عروبته بأشد الوسائل وأنكاها ، والذي عرف كيف يحافظ على هذه العروبة ، ويتفانى في الذود عنها ، ليغتنم هذه الفرصة ليؤكد لكم أنه سيبقى دائما وإلى الأبد ، معتزا بعروبته ، ضنينا بها ، مناضلا عنها ، حارسا لها في ذلك الجناح الأغر من بلادكم العربية .

وإن هذه الذكرى التي تقام اليوم لشاعر عربي خالد ، والتي يشارك فيها ممثلون عن مختلف البلاد العربية لتباهي من جديد وبكل تأكيد على أن الشعوب العربية ماضية في وحدتها ، سائرة في طريق عزتها ، معتزة بماضيها ، عاملة على بناء مستقبلها .

ولقد أحسن المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب صنعا إذ قرر مشاركة البلدان العربية في هذه الذكرى التي تقام للشاعر الخالد حافظ ، ذلك أن حافظا لم يكن شاعرا للايل خاصة ، وإنما كان يتأثر إلى حد بعيد بالحالة التي كان عليها الشرق العربي على العموم ، وإني لا أكتمكم من الحقيقة شيئا إذا أنا ذكرت لكم بهذه المناسبة أن شعر حافظ كان له تأثير وأي تأثير في إيقاظ هذا الوعي العربي بمغربكم العربي. هذا الوعي الذي بدأ ضئيلا قليلا ، ثم لم يلبث أن صار قوة جارفة تحطم ما وضع أمامه من الأشواك والعراقيل والعقبات . وإن أنس فلا أنسى تلك الأيام التي قضيناها ونحن

لانزال فى ميعة الشباب، وفى بداية نهضتنا نجتمع جماعات جماعات لنتدارس فى جملة ماتتدارسه أشعار حافظ التى تصور - أصدق تصوير - الحالة التى كانت عليها الحياة الشعبية فى مصر والبلاد العربية، والتى كانت يتحرك بها خاطره وتتألم لها نفسه، فينبعث بها لسانه شعرا رصينا مؤثرا، ونجد فيه تصويرا لما نعيشه نحن هناك، ونتألم له، فإذا قال فى قصيدته المشهورة :

أنا لا ألوم المستشار إذا تعلل أو تصدى

فسبيله أن يستبد، وشأننا أن نستعدا

هى سنة المحتل فى كل العصور وما تعدى

نتغنى بهذه القطعة، ونطبقها على الحالة التى كانت عندنا .

وإذا قال فى الحث على معاهدة المشاريع الاجتماعية :

وبينوا لرجال الغرب أنكم إذا طلبتم بلغتم غاية الطلب

لا تلجأوا فى العلا إلا إلى همم وثابة لا تبالى همة النوب

فإن تأميلكم فى غيركم وهن فى النفس يرخى عنان السعى والدأب

نتصور أنه يخاطبنا، فنعمل على أن نكون عند حسن ظنه .

إلى غير ذلك من أشعاره التى تفيض شعورا وإحساسا وقوة .

سادتى :

لم يكن قصدى أبدا أن أتعرض لأشعار حافظ بالتحليل أو الدراسة وإنما كان قصدى أن ألفت نظركم إلى أن حافظا لم يكن فى أشعاره معبرا عن الحقيقة الشعبية التى تعيشها مصر وحدها ، وإنما يتعدى ذلك إلى ماوراء ذلك إلى المحيط الأطلسى ، فاسمحوا لى إن أنا أضعت عليكم حصة ثمينة من أوقاتكم ، ولتثقوا أن المغرب يرنو إلى مصر ، وينظر إليها نظرة كلها تقدير وإعجاب .

ولا يفوتنى وأنا واقف فى هذه المنصة أن أحيي بكامل التقدير والإعجاب هذه النهضة المباركة التى تسير فيها مصر العربية تحت قيادة بطل شعبي عظيم محنك هو الرئيس المحبوب جمال عبد الناصر ، وإنى أرفع له بهذه المناسبة تمنيات وتحيات ملك شعبي عربى عظيم هو محمد الخامس حفظه الله .

أعانكم الله ، ووفقنا جميعا لخدمة العروبة والإسلام والسلام .

كلمة الجامعة العربية

للدكتور رئيف أبو اللمع

سيادة الوزير ، أيها السيدات والسادة :

باسم جامعة الدول العربية ، وباسم السيد الأمين العام ، أتقدم بالشكر والتقدير للسادة رئيس وأعضاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب على إقامة هذه الحفلة التذكارية لشاعر النيل حافظ ابراهيم ، ولاختيارهم مدينة الاسكندرية مكانا لهذا الاجتماع .

فمن أحق من حافظ إبراهيم بتقدير العرب والعروبة ، وهو الذى كان منذ نصف جيل ، أى يوم كان العرب شعوبا متفرقة يستبد بها فاتح مغتصب دخيل ، لا تربط بينها رابطة ، سوى رابطة اللغة والتاريخ ولا تجمعها جامعة إلا جامعة الآلام والآمال ، فإذا به يقف على ضفاف النيل ، ويرسل

صيحة مدوية ، تردد أصداؤها جميع أقطار العرب ، وفيها يقول :
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم فصافحوها تصافح نفسها العرب

ومن أحق من مدينة الاسكندرية بهذا الكريم ، وهى المدينة الخالدة ، التى أضاءت منارتها العجيبة قديما شواطىء البحر الأبيض المتوسط ثلاثة قرون ، كما أنارت مدرستها الجامعة منذ عشرين قرنا سبل العلم والمعرفة فى الفلسفة والأدب ، والطب والرياضة ، وأخرجت قادة الفكر وحملة مشعل العلم والمعرفة فى جميع أنحاء العالم المعروف ، فكان أكبر لقب يباهى به العالم ويعتز هو قوله : أنا ابن مدرسة الاسكندرية .

والشعراء يا سادة هم أندر هبات الله ، فإذا ما قلبنا صفحات التاريخ القديم والحديث ، تجد أسماء الألوف من الملوك والأمراء والساسة والقادة والحكام ، ولكننا لا نجد فيها سوى عدد قليل من الشعراء الخالدين ، الذين أحاطهم الله بشعاع الحكمة ، وحباهم رقة الشعور ، واندفاع العاطفة ، وانطلاق الخيال ، فاستطاعوا أن يصوروا خفقات القلب واختلاجات النفس ، وأن يوقعوا وحى الطبيعة على أنغام الألفاظ والأوزان .

وهل الشعر سوى دمعة الحزين ، وزفرة المحب ، وأمل البائس ، ورجاء اليائس ؟ .

وهل الشـــعر سوى السحر الذى يلمس القلوب ، ويثير العواطف ، ويلهب المشاعر ، ويدفع بالأمم والشعوب فى طريق الثورة والجهاد ،

فتتحول ألفاظه إلى سيوف مسلولة ، ورماح مسددة ، وتصبح أوزانه قوة ، وشجاعة وعزما ومضاء ، فقد :

ولد الشعر عند ما ولد السحر شقيقين ليس يفترقان

تحيى بنا اليوم ونحن نحتفل بهذه الذكرى الغالية ، والعواصف السياسية تهدد ما فى كل ناحية ، والعدو الغادر جاثم فى أقدس بقعة من ديارنا ، حرى بنا اليوم أن نحدق بأبصارنا ، وأن نصغى بقلوبنا فنرى حافظ ابراهيم بقامته المديدة ، وعينه البراقة ، ونسمع صوته الجهورى العميق يدوى فى أرجاء هذه القاعة قائلا :

فروحى فى هذا المقام مُظلة تشاهدكم عنى وإن كنت بالبا

فلا تحزنوها بالخلاف فإننى أخاف عليكم فى الخلاف الدواهيا

وهل لنا إلا أن نرفع أيدينا إلى العلا مقسمين ، وأن نجيبه مؤمنين مخلصين صادقين :

إننا — على العهد ما دمنا ، فنم أنت هانيا .

نم هانيا : إننا أصبحنا اليوم أمة تكافح ، لا فى سبيل الحياة ، بل فى سبيل كرامة الحياة ، وسنتغلب على جميع المصاعب ، وسنذلل جميع العقبات

نم هانيا : فقد ظهر على رأس ثورة مصر الرجل الذى تنبأت به يوم قلت :

قائد يكفيك منه أنه أنهض الشرق فهز المغربا

نم هانياً : وليبق تمثالك الصامت ، المتكلم ، صوت مصر ، وصوت العرب ، وليبق هذا الحجر حيا يردد أناشيد الألفة والاتحاد والإخاء .

فرب حى غدا فى قومه حجـــرا ورب ميت غدا حياً به الحجـــر

نم هانيا : ولك من وطنك العربى الكبير الخلود والبقاء .

ولك منا الحب والتقدير ، وعرفان الجميل .

ولك من الله الرحمة والرضوان ، وحسن الجزاء .

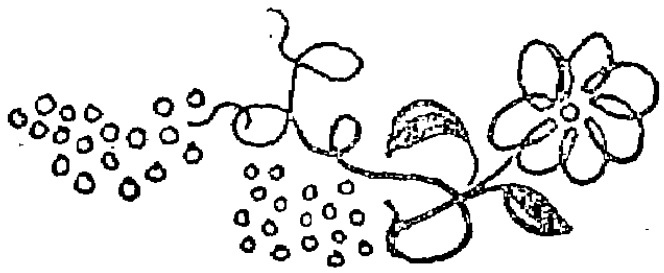

كلمة المؤتمر الإسلامى

للدكتور مهدى علام

سيدى رئيس المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ،

سادتى المحتفلين بذكرى الشاعر العظيم ، حافظ ابراهيم ،

أبلغت قبيل بدء هذا الحفل بأننى سأقول كلمة المؤتمر الإسلامى، وهو شرف ينالنى ، وعبء يقع على كاهلى .

فباسم المؤتمر الإسلامى أتقدم بالشكر للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب على الدعوة الكريمة التى وجهها للمؤتمر، وكأنما جاءت هذه الدعوة من وحى شعر حافظ الإسلامى، وهو شعر يستهدف الأغراض التى يسعى المؤتمر الإسلامى لتحقيقها ، من رفع شأن المسلمين، وبث روح القوة والعزة والكرامة فى نفوسهم .

ولقد تعودنا أن نسمى حافظا "شاعر النيل" و"شاعر مصر" و"شاعر العروبة" ونسينا أن نسميه كذلك "شاعر الإسلام". وحسبه فى هذا الصدد أنه أسبق من قالوا الشعر فى تحية العام الهجرى، وهى سنة استنها حافظ منذ نصف قرن، وانتهج منهجها من بعده الشعراء والكتاب.

ففى أول قصيدة حيا فيها حافظ العالم الإسلامى فى أول المحرم سنة ١٣٢٧ قال:

أطل على الأكوان، والخلق تنظر ... هلال رآه المسلمون فكبروا:
تجلى لهم فى صورة زاد حسنها ... على الدهر حسنا أنها تتكرر
وبشرهم من وجهه وجبينه ... وغربه والناظرين مبشر
وذكرهم يوما أغر محجلا ... به توج التاريخ، والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع إلى الهدى ... يخف به من قوة الله عسكر.

وقد ظهرت عاطفته الإسلامية فى هذه القصيدة، فى حديثه عن الأمم الإسلامية عربية كانت أو غير عربية:

سلوا الترك عما أدركوا فيه من منى ... وما بدلوا فى المشرقين وغيروا
سلام عليكم أمة الفرس إنكم ... خليقون أن تحيوا كراما وتفخروا
وفى دوله الأفغان كانت شهوره ... وأيامه بالسعد واليمن تزهر
أقام بها، والعود ريان أخضر ... وفارقها، والعود فينان مثمر
وعوذها بالله من شر طامع ... إذا مارمى (ادورد) أو راش (قيصر)

وفيه نمت فى الهند للعلم نهضة أرى تحتها سرا خفيا سيظهر ،
فتجرى إلى العلياء والمجد شوطها ويخصب فيها كل جدب وينضر .
وفيه بدت فى أفق جاوة لمعة أضاءت لأهليها السبيل فبكروا

*
* *

ثم يتجه إلى بلاد إسلامية أخرى لم يكن من حظها ، فى ذلك العام ، أن تخطو نحو الحرية بما يتمناه لها حافظ ، فيعبر عن أمانيه لها بقوله :

فيا ليته أولى الجزائر منة نفك لها تلك القيود وتكسر
وفى تونس الخضراء يا ليته بنى له أثرا فى لوحة الدهر يذكر

ثم ينتقل الى مصر التى كان يغلى بالثورة مرجلها ، تصارع بطش الاستعمار ، تنفث جريحة ، ولكنها ليست صريعة ، وتحتشد فى تؤدة وعزيمة ليوم يرجوه لها الشاعر :

وفيه سرت فى مصر روح جديدة مباركة من غيرة تتسعر
خبت زمنا حتى توهمت أنها تجافت عن الإيراء لولا (كرومر)
تصدى فأوراها ، وهيهات أن يرى سبيلا الى إخمادها وهى تزفر

ويستحث حافظ ، فى آخر قصيدته مصر ، والعرب ، والمسلمين جميعا حين يقول :

إذا الله أحيا أمة ان يردها الى الموت قهار ، ولا متجبر

رجال الغد المأمول ، إنا بحاجة إلى قادة بنى وشعب يعمر
رجال الغد المأمول ، إنا بحاجة الى عالم يدعو ، وداع يذكّر
رجال الغد المأمول ، إنا بحاجة الى حكمة تملى ، وكف تحرر
رجال الغد المأمول ، إنا بحاجة اليكم ، فسدوا النقص فينا وشمروا

*
* *

فلتهنأ روح حافظ ، فشعره لم يضع سدى ، ودعوته لم تكن صرخة فى واد ، لقد هيأ الله لمصر ، وللعروبة ، وللإسلام ، رجال الغد الذين كان يناديهم ، والذين أصبحوا اليوم رجال الساعة ، فحققوا كثيرا مما تمنى ، وسيحققون ، بإذن الله تعالى ، أكثر مما تمنى :

لقد قاموا فسدوا النقص فينا وشمروا

سيدى رئيس المجلس الأعلى ، سادتى ،

أكرر شكرى باسم المؤتمر الإسلامى ، والسلام عليكم ورحمة الله "